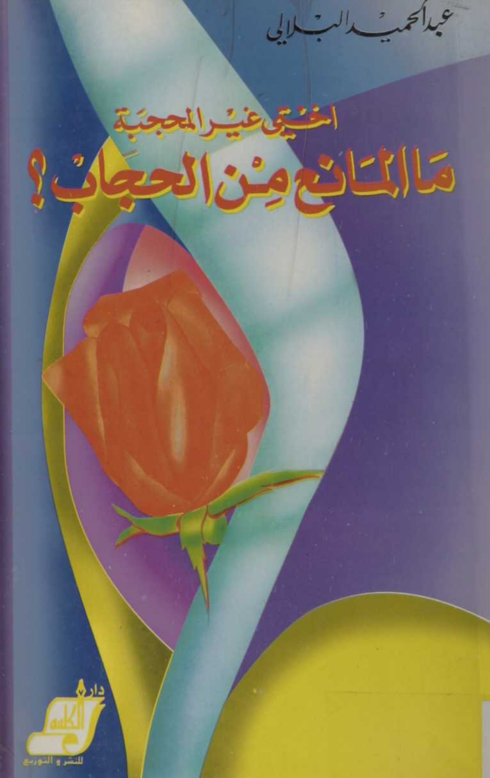

عبد الحميد البلالي
أختي غير المحجبة
ما المانع من الحجاب؟
دار الكلمة
للنشر و التوزيع



إلى أختي غير المحجبة ..

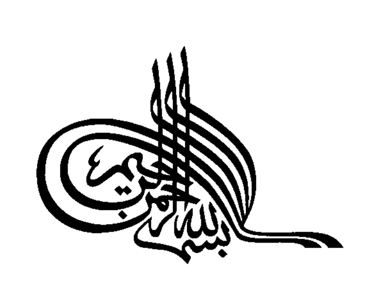
ما المانع من الحجاب؟

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر

المنصورة ٣ ش الثورة (السكة الجديدة) ت، ف: ٣٤٣١١٥


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

يقول تعالى :

﴿ وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا ﴾(١) .

فالنفس البشرية خلقها الله تعالى ، وخلق فيها الاستعداد لسلوك طريق الخير أو طريق الشر . وأمرنا سبحانه وتعالى بالتواصي بالحق والتناصح فيما بيننا وجعل ذلك من صفات الذين يستثنيهم من الخسارة .

كما ورد في سورة العصر ، ويبين لنا رسولنا الكريم ﷺ واجبنا تجاه بعضنا في التناصح فقال : ((**المؤمن مرآة المؤمن**)) (٢) أي ينظر عيوبه ويعرفها من أخيه وكأنه مرآة له ،ولكن هذه المرآة لا تعكس الصورة الخلقية بل تعكس الصورة الخلقية ،ولأن الإسلام يحث البعض بأحاديث كثيرة فإن من أساسيات هذه المحبة

---

(١) الشمس : ٨ .

(٢) الطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني (ص.ج.ص.٦٥٣١) .

تمنى دخول أخيك الجنة وابتعاده عن النار وألا يقتصر الأمر على التمني ، بل لابد من بذل ما يمكن من الأسباب لإبعاد أخيك عما يضره في دنياه وآخرته .من هذه المنطلقات يأتي هذا الكتيب،وانطلاقا من المحبة والشفقة التي نكنها لبنات أمتنا الإسلامية ،وقومنا العرب ومجتمعاتنا الخليجية ، وحرصا على إبعادهن عما يضرهن في الدنيا والآخرة ،يأتي إلى فئة خاصة من مجتمعاتنا ألا وهى فئة الأخوات اللاتي لم يلتزمن الحجاب الشرعي إما لجهل بوجوبه ، أو لضعفهن أمام مغريات وجواذب الدنيا أو هزيمة أمام نفس أمارة بسوء وشيطان موسوس ،أو قرينة سوء لا تحب الخير لبنات جنسها ،أو غيرها من الأمور . ونسأل الله تعالى أن تكون هذه الكلمات مفاتيح خير لفتح القلوب المقفلة ، وتحريك المشاعر النائمة ،وعودة أخواتنا من غير الملتزمات بالحجاب إلى الفطرة التي أمر بها الله تعالى .

كما لا يفوتني أن أقدم الشكر الجزيل للمربية الأخت بدرية العزاز على ملاحظاتها القيمة على هذا البحث .

نسأل الله السداد والتوفيق وحسن الخاتمة .

❁❁ شبهـــات وشهوات :

إنما يدخل الشيطان على الإنسان من مدخلين رئيسين ألا وهما الشبهات والشهوات، وما من مقترف لمعصية إلا وكـــان ســـبب معصيته لا يخرج عن هذين المدخلين، وكلا الأمرين عوائق تعيـــق المسلم عن تطبيق ما يسبب رضا الله، ودخول الجنة، والابتعاد عـــن النار . وسنعرض هاهنا أهم هذه الشبهات والشهوات:

❁ الشبهة الأولى : كبت الطاقة الجنسية :

تقول هذه الشبهة بأن الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبـــيرة وخطيرة ، وخطورتها تكمن في كبتها ، وزيادة الضغـــط ، تولـــد الانفجار ، وحجاب المرأة يغطي جمالها وبالتالي فإن الشباب يظلون في كبت جنسي يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحيانـــاً علـــى شـــكل حوادث اغتصاب وغيرها ، والعلاج لهذه المشكلة إنما يكمـــن في المرأة من هذا الحجاب لكي ينفس الشباب الكبت الـــذي فيـــهم وبالتالي يحدث التشبع لهذه الحاجة ، فيقل طبقاً لذلـــك خطـــورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق .

❁ **الرد على الشبهة :**

هذه الشبهة تبدو في ظاهرها أنها منطقية، وعقلانية، ويبدو منذ الوهلة الأولى أن الذي يطرحها يبحث عن مصلحة المجتمع خوفاً عليه من الانحلال، وفي واقع الأمر أن الذي يطرح مثل هذا الطرح إنما يسبب في طرحه هذا خطورة عظيمة على المجتمع تنذر بتفكيكه، وتحطيمه، وقلبه رأساً على عقب .

فلو كان هذا صحيحاً لكانت أمريكا والدول الأوربية وما شاكلها هي أقل الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرش في النساء وما شاكلها من الجرائم الأخلاقية .

ذلك لأن أمريكا والدول الأوربية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة جداً بحجة الحرية الشخصية إلى درجة أنك ترى المجلات الخليعة تباع في كل مكان ، وبرامج التلفزيون بعد الثانية عشر مليئة بالبرامج الخليعة والمثيرة جنسياً، والمرأة هناك إذا ما أقبل الصيف فإنها تخلع ثيابها وتبقى بالمايوه لتستحم على شاطئ البحر، وفي المدن الساحلية، فإنها تخرج بالمايوه ، وفي الكثير من الشواطئ الساحلية ، قد أباحوا للمرأة أن تعري صدرها ، وتلبس قطعة واحدة فقط ، ومحلات الفيديو والتي يطلق عليها ((للبالغين

فقط)) (Adults only) تنتشر في أمريكا كلها ، وفي هذه المحلات ما يشيب له الولدان من الإثارة الجنسية والشذوذ ، يستطيع أي بالغ، أن يؤجر الفيلم ويأخذه إلى بيته أو يراه في المحل ، ودور الدعارة تنتشر إلى درجة أن بعض الدول تعرض الزانية في الفترينة ليراها الزبائن من الخارج، فماذا كانت النتائج التي ترتبت على هذا الانفلات والإباحية ؟؟ هل قلت حوادث الاغتصاب ؟ وهل حدث التشبع الذي يتحدثون عنه ؟؟ وهل حُميت المرأة من هذه الخطورة ؟؟ !

❁ إحصائيات أمريكية :

في كتاب تصدره الفدرالية في أمريكا تحت عنوان ((الجريمة في أمريكا)) (Crime in U.S.A) وهذا يعني أن إحصائيات الكتاب موثقة من قبل الحكومة ، وليس من قبل شركات الإحصاء .

في ص ٦ يقول الكتاب : ((إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة ، كل ستة دقائق في أمريكا وهو يتحدث في سنة [١٩٨٨] ويعني بالقوة أي تحت تأثير السلاح)) .

وفي نفس الكتاب يعرض لنا الإحصائية التالية :

في سنة ١٩٧٨ كانت عدد حالات الاغتصـــاب في أمريكـــا ١٤٧,٣٨٩ ألف حالة .

في سنة ١٩٧٩ كانت عدد حالات الاغتصـــاب في أمريكـــا ١٦٨,١٣٤ ألف حالة .

في سنة ١٩٨١ كانت عدد حالات الاغتصـــاب في أمريكـــا ١٨٩,٤٥ ألف حالة .

في سنة ١٩٨٣ كانت عدد حالات الاغتصـــاب في أمريكـــا ٢١١,٦٩١ ألف حالة .

في سنة ١٩٨٧ كانت عدد حالات الاغتصـــاب في أمريكـــا ٢٢١,٧٦٤ ألف حالة .

❁ آية تفسر الإحصائية :

وهذه الإحصائية وما يشابهها من أخبار موثقة تـــدل علـــى ازدياد معدل الجريمة الجنسية في تلك البلاد ما هي إلا بمثابة تفســـير عملي لقوله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا النبيُّ قُل لِأَزواَجكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء المُؤمِنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدنَى أَن يُعْرفنَ فَلاَ يُؤذَينَ ﴾ [٣] .

وسبب نزول الآية كما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره بأن النساء ((كن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف [٤] ، فيقع الفرق بينهن وبين الإماء ، فتعرف الحرائر بسترهن ، فيكف عن معارضتهن من كان عزباً أو شابا . وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة ،فتصيح به ،فيذهب ، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ ، ونزلت الآية بسبب ذلك))[٥] .

وهذا معناه أن المتبرجة التي أبدت مفاتنها وأبرزتها لكل غاد ورائح معرضة للأذى من قبل ذئاب البشر ؛لأنها بذلك تثير الشهوات الكامنة ،أما المتحجبة فإنها تخفى تلك المفاتن والزينة فلا يرى منها إلا الكف والوجه في قول ،وفي قول آخر لا يرى منها شيء سوى العين فأي شهوة تثيرها تلك المتحجبة وأي غريزة

---

(٣) الأحزاب : ٥٩ .

(٤) أي المراحيض .

(٥) تفسير القرطبي (٥٣٢٥/٨) دار الثقافة .

تحركها تلك المتغطية . والله تعالى شرع الحجاب ليكون حماية للمرأة من الأذى ؛لأنه يعلم سبحانه وتعالى بأن التبرج دعوة إلى زيادة الجرائم الجنسية بما يحرك من الغرائز الساكنة .

وأمام الذين يصرون بعد ذلك على تلك الشبهة ، ويعتقدون صوابها أربع حقائق وهى :

❁ **الحقيقة الأولى** : أن الإحصائيات تكذبهم .

❁ **الحقيقة الثانية** : أن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء ، وهي سر إلهي أودعه الله تعالى في الرجل والمرأة لحكم كثيرة منها ــ استمرار النسل ، ولنا أن نتخيل لو لم توجد هذه الغريزة ، ثم يطلب من الرجال أن يتصرفوا طبيعياً أمام مناظر التكشف والتعري دونما اعتبار لوجود تلك الغريزة .

❁ **الحقيقة الثالثة** : أن الذي يثير الرجل هو رؤيته لمفاتن المرأة سواء وجهها أو باقي مواضع الإثارة فيها ، ولا يمكن أن يصادم الفطرة التي خلقه الله عليها فتخبو شهوته عند رؤية ما يثير .

❁ **الحقيقة الرابعة** : أن الذي يدعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرج والتعري ليحدث التشبع ، فإنه بذلك يصل إلى نتيجتين :

الأولى : أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم الشهوات والعورات البادية . من فئة المخصيين ، فانقطعت شهوتهم فما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر .

الثانية : أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي .

فهل الذين يدعون صدق تلك الشبهة يريدون من رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدى هاتين الطائفتين من الرجال ؟؟!

❁ الشبهة الثانية ــ عدم الاقتناع :

وهي أقرب إلى الشهوة واتباع الهوى منها إلى أن تكون شبهة، فإذا سئلت إحدى الأخوات الغير محجبات سبب عدم التزامها بالحجاب أجابت ((والله لم أقتنع بعد بالحجاب ، وعندما أقتنع سأتحجب إن شاء الله)) .

والأخت التي تتحجج بهذه الشبهة لا بد أن تفرق بين أمرين وهما : الأمر الرباني ، والأمر البشري .

فإذا كان هذا الأمر هو من كلام البشر ، فالبشر يخطئون ويصيبون ، ((وكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب ذلك القبر)) [٦] كما قال الإمام مالك ، وما دام في حيز كلام البشر فلا يُلزم أحد بالأخذ به ، وعلى هذا يمكن لأي إنسان أن يقول ((بعدم الاقتناع)) ولا يؤاخذ بذلك .

أما إن كان هذا الأمر هو من الأوامر الربانية ، أي أن الله تعالى هو الذي أمر به في كتابه ، أو أمر به نبيه بأن يبلغه لأمته ، فلا يوجد مجال أن يقول إنسان ((أني غير مقتنع)) وإن قالها أو

---

(٦) ويقصد به الرسول ﷺ .

قالتها في اعتقاد وهي أو هو يعلم أن هذا الأمر قد جاء في كتاب الله تعالى ، فهي أو هو يعرض نفسه لخطورة الخروج من الملة وهو لا يدري ، لأن ذلك معناه عدم التصديق والشك في صحة الأمر ، وهذه من أخطر الكلمات ..

ولو أنها قالت : أنا عاصية ، أو أن تقول : أن هواي لا أستطيع مغالبته ، ونفسي ضعيفة ، أو إرادتي ضعيفة ، فكل هذه الكلمات وما شاكلها لا توازي كلمة « غير مقتنعة » لأنها كلمات تدل على الاعتراف بالضعف والخطأ والمعصية ، ولا تجعل من نفسها حكماً على أوامر الله تصحح ما تشاء وتخطئ ما تشاء، وتأخذ بما تشاء ، وتدع ما تشاء .

والله تعالى يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا** ﴾ [٧] .

---

(٧) الأحزاب : ٣٦ .

❁ الموقف المطلوب :

فليس لعبد أن يختار إذا جاء أمر الله تعالى ، ما دام يؤمن بـه ، أنه أحكم منه ، وأعلم ، وأفقر ، وأضعف . بل واجـب المؤمـن والمؤمنة عند سماع الأمر أن يقولوا ما قال المؤمنون ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإليكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٨) وعندما يأمرنا الله تعالى بـأمر يعلم أن ذلك في صالحنا ، وسبب من أسباب سعادتنا ، وعندما أمر المرأة بالحجاب يعلم أن هذا من أسباب سعادتها وكرامتها وعزتها .

ولأن الله سبحانه وتعالى هو العالم ، وعلمه محيط ، يعلم مـا كان من قبل خلق البشر ، وما سيكون في المستقبل من غير حدود، ويعلم ما لم يكن من الأحداث لو كانت ماذا سيكون ، وأمام هـذا الاعتقاد الذي ندين به كمسلمين أمن المعقـول أن يـرد كـلام صاحب هذا العلم المحيط ويؤخذ كلام الناقصين من البشـر ، ذوي العلم القاصر .

---

(٨) البقرة : ٢٨٥ .

❁ مثال من الواقع :

ونضرب لذلك مثلاً من الواقع ، فنقول : إننا إذا اشترينا جهاز الحاسب الآلي ، والذي صنعه موجود معنا . وهو يعرف كيفية تشغيله ، ويعرف ما به من الألف حتى الياء ،فهل من المعقول أن ننادي غسال السيارات ليعلمنا كيفية تشغيله ؟! لا يقول عاقل بذلك ، بل العقل يدفعنا أن ننادي المتخصص بذلك الجهاز ليشرح لنا كيفية تشغيله ، وطريقة إصلاحه إذا تعرض للعطب .

والذي خلق الإنسان ، وصنعه ، هو رب العباد ، لذلك فمن الطبيعي أن يكون هو الأعلم بما يضره وينفعه ، وأن كل احتكام ، وانصياع ، واستسلام لغير الله تعالى فهو ضرب من الجنون ، والحماقة ، والغباء ، والحماقة هنا سببها هو امتثالنا لمن لا يعلم ، ومن يأخذ نصيحة الجاهل فإنه يعرض نفسه للضياع ، وهذا ما يحدث لنا كمسلمين وللأسف الشديد ، ذلك لأننا طلبنا الجواب ممن لا يملكه . كما أن كثيراً منا لا يعرف ما تعني كلمة ((الإسلام)) وهو الاستسلام والانقياد والخضوع الكامل لأوامر الله تعالى ونواهيه .

❁ أختي العفيفة لا تقعين في التناقض :

عندما تنصح بعض الأخوات الفاضلات غير المتحجبات بالحجاب ، تبادرك إحداهن فتقول إنني مسلمة ، مؤمنة محافظة على الصلوات ، وبعض النوافل ، وأصوم رمضان ، وأديت فريضة الحج ، واعتمرت أكثر من مرة ، ومشتركة باستقطاعات شهرية في بعض المشاريع الخيرية ، لكنني غير مقتنعة بالحجاب .

❁ نقول لهذه الأخت الفاضلة :

إذا كان ما قمت وتقومين به من أعمال جليلة نابع من إيمان واستبسلام لما أمرك به الله تعالى ، وخوف من عقوبته بترك تلك الواجبات ، فلماذا آمنت ببعض و لم تؤمنين بالبعض الآخر ما دام مصدر الأوامر واحد ، فكما أن الصلاة التي تحافظين عليها واجبة بنص كتاب الله تعالى ، فكذلك الحجاب واجب لا شك في وجوبه في الكتاب والسنة .. أو ما سمعت بتوبيخ الله تعالى لبني إسرائيل بسبب تطبيقهم لبعض أوامره وترك البعض الآخر ، إذ قال تعالى :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلَّا خِزْيٌ فِي الحياة الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ

﴿ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩) ومن يتذكر ما جاء في الحديث الصحيح «**أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم**» (١٠) فإذا كان هذا هو أقل الناس عذابا يوم القيامة ، فكيف بمن يهدده الله تعالى بأشد العذاب كما جاء في الآية لمن يؤمن ببعض ويترك بعضاً .

❁ أختي العزيزة :

أمِن أجل المظهر والتفاخر والموضة في الدنيا ، تبيعين آخرتك وتستعدين لتحمل هذا العذاب الشديد ، ونحن لا نتمنى لك إلا كل خير في الدنيا والآخرة ، ونطلب منك تحكيم عقلك في هذا الخيار.

---

(٩) البقرة : ٨٥ .

(١٠) البخاري : ٣٧٦/١١ في الرقاق .

۞ الشبهة الثالثة : الإيمان في القلب :

فإذا سئلت إحداهن عن سبب التزامها الحجاب ردت تلك الأخت الكريمة « الإيمان في القلب » وهذا الرد من أشهر الردود التي يتناول من قبل أخواتنا العزيزات غير المحجبات . ولنا وقفة مع هذه الشبهة .

۞ مصدر هذه الشبهة :

إنهم يحاولون أن يفسروا بعض الأحاديث على غير المراد منها مثل قول النبي ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » [١١] فتراهم يسقطون هذا على الواقع وهو حق أريد به باطل . فصحيح أن الإيمان موضعه القلب إلا أن الرسول ﷺ لم يعني أن الإيمان لا يتم إلا في القلب فقط ، وإنما أراد من الحديث أن يبين أهمية الإخلاص في قبول الأعمال ، وأن الله لا ينظر إلى الهيآت كالتخاشع في الصلاة

---

(١١) مسلم : ٢٥٦٤ .

وغيرها من الأمور ، إنما ينظر إلى القلب وإخلاص النية المجردة من كل ما سوى الله تعالى ، والله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له. لذلك قال النبي ﷺ ((**التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره**)) (١٢) .

يقول صاحب نزهة المتقين : ((أفاد الحديث أن الإنابة على الأعمال تكون بما انعقد عليه القلب من الإخلاص وصدق النية ، والاعتناء بحال القلب وتصحيح مقاصده وتطهيره من كل وصف مذموم يمقته الله)) (١٣) .

❁ تعريف الإيمان :

أما الإيمان فلا يتم في القلب فقط ، ولا يكفي الإيمان في القلب للنجاة من النار والفوز بالجنة . ولقد عرف جمهور علماء السنة والجماعة الإيمان بأنه ((اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان)) وهذا التعريف تجده في جميع كتب العقيدة ، إلا ما شذ منها ، ولم يكن على منهج أهل السنة والجماعة .

---

(١٢) مسلم : ٢٥٦٤ عن أبي هريرة .
(١٣) نزهة المتقين : ٢٥/١ .

❁ اكتماله باكتمال الثلاثة :

لنا أن نتصور أن إنساناً نطق بالإيمان بلسانه ، ولكن لم يعتقده قلبه ، فهذا شأن المنافقين وكذلك من عمل بجوارحه ، ولم يعتقده بقلبه ، فكذلك هو شأن المنافقين فلقد كانوا يصلون مع النبي ﷺ ، ويجاهدون وينفقون ويروحون ويغدون ، ولكن قلوبهم ما كانت تؤمن بدين الله تعالى ، فحكم الله عليهم بالنفاق ، وكان جزاؤهم في الدرك الأسفل من النار . وكذلك من آمن بقلبه ولم يعمل بجوارحه ، فهذا شأن إبليس ، فقد كان يعتقد بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة ، لذلك طلب منه النظرة ، وكان يعتقد بيوم القيامة ، ولكنه لم يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الإيمان ﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[14] ولم تأت آية في القرآن الكريم فيها ذكر الإيمان ، من غير إتباعها بالعمل ، ودائما تقرأ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فالعمل متلازم مع الإيمان ، لا ينفك عنه أبداً .

---

(١٤) البقرة : ٣٤ .

ونقول لهذه الأخت الفاضلة التي تمتنع عن الحجاب بحجة أن « الإيمان في قلبها » نسألها عما تقوم به عندما تطلب منها مسؤولتها في الوظيفة « الناظرة مثلاً » طلباً ما ، كعمل تقرير ، أو القيام بعمل ما ، كالإشراف ، أو أخذ أحد الدروس الإضافية ، أو القيام بالاحتياط بدلا من أحد الدروس الإضافية ، أو القيام بالاحتياط بدلا من أحد المدرسات الغائبات ، أو ما شابهها من الطلبات . هل من المعقول والمقبول أن تقول « أنا مؤمنة» « ومقتنعة » في قلبي بما طلبت الناظرة مني ، ولكني لن أقوم بما أرادت مني ؟ هل سيقبل ذلك منها ؟؟ وماذا سيكون مصيرها ؟؟! هذا مثال يتعلق بالبشر ، فكيف إذا كان الأمر يتعلق برب البشر ، ولله المثل الأعلى .

❁ الشبهة الرابعة ــ لم يهدني الله :

وترد الكثير من الأخوات غير المحجبات بهذه الشبهة ، بقولها: ((الله يهديني ، أرغب بالحجاب ولكن الله لم يهدني بعد، ادعو لي بالهداية)) .

والأخت التي تقول ذلك فهي تقع في مغالطة كبيرة ونسأل تلك الأخت الكريمة ((كيف علمت بأن الله لم يهدك ؟؟)) .

فإذا كان الجواب بأنها تعلم فهي واحدة من اثنتين :

الأولى : أنها اطلعت على علم الغيب في الكتاب المكنون ، وعلمت منه أنها من الشقيات اللاتي يكون مصيرهن إلى النار .

الثانية : أن مخلوقاً أخبرها بمصيرها ، وأنها ليست من المهتديات ، إما أن يكون ملكاً ، أو إنساناً .

فإذا كان الجواب الطبيعي لهذين الافتراضين بالنفي ، فكيف علمت بأن الله لم يهدك ؟؟ هذا أمر .

الأمر الثاني أن الله تعالى بين في كتابه الكريم أن الهداية نوعان :

١) هداية دلالة .

٢) هداية توفيق .

أولاً ــ هداية الدلالة : وهذا النوع معناه ، الإرشاد إلى الحق ، وهذا ما نشترك به كبشر ، مع الخالق سبحانه وتعالى ، والرسل .

فالله تعالى يبين للمخلوقين المكلفين طريق الحق ، وطريق الباطل عن طريق رسله ، وكتبه ، والرسل يبينون لقومهم هذا الطريق .

وكذلك الدعاة ، يبينون للناس هذا الطريق . فالجميع مشترك في هذا الأمر .

ثانياً ـ هداية التوفيق :

وهذه يختص الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، وهي تثبيت الحق في القلوب ، والعصمة من الزلل ، والإعانة على المضي في طريق الحق والثبات عليه ، وتحبيب الإيمان وتزيينه في القلوب ، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان لمن استجاب لله تعالى واهتدى بهديه . وهذا النوع من الهداية إنما يأتي بعد النوع الأول ، فالله تعالى يعرض الحق على الجميع ، وبهذا يقول الحق سبحانه وتعالى **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾**[١٥] .

وقد أودع الله تعالى في كل مكلف القدرة على الاختيار بين طريق الحق أو الباطل ، فإن اختار الحق بمحض إرادته ، جاءت ((هداية التوفيق)) إذ يقول تعالى في ذلك : **﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُم هُدًى وَءَاتَاهُم تَقْوَاهُم ﴾**[١٦] .

---

(١٥) فصلت : ١٧ .

(١٦) محمد : ١٧ .

وإذا اختار الباطل بمحض إرادته ، زاده ضلالاً ، وحرمه من ((هداية التوفيق)) إذ يقول تعالى في ذلك : **﴿ قُل مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾** (١٧) .

ويقول تعالى : **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُم ﴾** (١٨) .

*** مثال لهداية التوفيق :**

ويضرب الشيخ الشعراوي مثالاً جميلاً لهذا النوع من الهداية ، وسنة الله تعالى فيه ، فيقول ما معناه : ((مثل ذلك مثل رجل يريد أن يسأل عن عنوان ، فذهب إلى شرطي المرور يسأله عن العنوان فقال له تذهب الشارع الفلاني وتنعطف جهة اليمين ، ثم الشمال، ثم تسلك الشارع الآخر ، وتجد أمامك مبنى لونه كذا ، ستجد العنوان هناك .

يقول الشيخ : فهذا الرجل بين أمرين إما أن يصدق الشرطي وينطلق حسب التعليمات التي تلقاها . فكلما مضى وتوغل كلما زاد هديه ، واقترب من المكان والعنوان الذي يريد .

وإما أن يقول أن ذلك الشرطي كذاب ، فيمضي عكس ما قال له الشرطي فكلما توغل زاد ضياعاً ، وهكذا هي قصة الهداية والضلال)) (١٩) .

---

(١٧) مريم : ٧٥ .

(١٨) الصف : ٥ .

(١٩) قال ذلك في محاضرة ((هل الإنسان مسير أم مخير)) في الكويت في الثمانينات .

وهو مثال رائع في تقريب هذه السنة الربانية ، فمن اختار الحق أعانه الله وثبته ، ومن اختار الباطل أضله الله وتركه مع نفسه وشيطانه .

❁ ابذلي سبب الهداية تناليها :

هكذا هي سنة الله تعالى في خلقه : ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً** ﴾ (٢٠) وسنة الله تعالى في التغيير الذي يريد ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَيُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (٢١) .

فالذي يريد الهداية ، ويطلب من الناس أن يدعوا له بها ، لا بد أن يبذل أسبابها ولنا في مريم عليها السلام أسوة ، فهي تحتاج إلى الطعام ، وهي في أقصى حالات الضعف التي تمر بها المرأة وهي في المخاض ، فيطلب منها الرب سبحانه وتعالى أمراً لا يقوى عليه أشد الرجال . بل لا يقوى عليه حتى الشديد منهم بمفرده ، يطلب منها أن تهز جذع النخلة ، بالرغم من ثبات جذع النخلة ، وصعوبة هزه ، إذ يقول سبحانه لها : ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾ (٢٢) وهي لم تقم بهز النخلة وهي في ذلك الوضع من الضعف إنما أراد منها فقط بذل السبب بوضع يدها على النخلة ، ليتحقق قانون السببية ، ولتتحقق سنة الله في التغيير ، فإذا بالنتيجة ﴿ **تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ (٢٣) .

---

(٢٠) فاطر : ٤٣ .
(٢١) الرعد : ١١ .
(٢٢) ، (٢٣) مريم : ٢٥ .

هذه هي سنة الله تعالى في التغيير ، فلا يمكن لمؤمن يمكث في بيت من بيوت الله ، حتى ولو كان ذلك البيت هو مكة المكرمة ، فيجلس ويتعبد الله هناك ويطلب من الله الرزق ، لا يمكن أن يستجيب الله له دون أن يبذل أسباب كسب الرزق ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

فابذلي أسباب الهداية تناليها بإذن الله تعالى ، والتي منها الدعاء بالهداية ، واختيار الرفقة الصالحة ، والإقبال على كتاب الله تعالى قراءةً وتدبراً ، وارتياد مجالس الذكر والمحاضرات الدينية ، والاستماع إلى الأشرطة الدينية ، وقراءة الكتب الإيمانية ، وقبل كل ذلك ترك كل ما يبعدك عن طريق الهداية مثل الرفقة السيئة ، وقراءة المجلات الهابطة ، ومتابعة البرامج التلفزيونية التي تحث على العلاقات المحرمة ، من الأفلام والمسلسلات وغيرها ، والسفر من غير محرم ، والعلاقات التلفونية مع الشباب وغيرها من الأمور الصادة عن طريق الهداية .

❁ الشبهة الخامسة ـ توقف الزواج :

بعض الأخوات غير المحجبات يتحججن بعدم التزامهن بالحجاب بالخوف من عدم الزواج .

هذه الشبهة التي يلقيها الشيطان في نفوس بعض أخواتنا غير المتحجبات منشؤها أن الشباب لا يتقدم إلا إذا رأى جسم الفتاة وشعرها وزينتها ، أما إذا تحجبت أو تنقبت فلا يرى منها ما يجعله يتقدم لها وهذا الاعتقاد ليس مقصوراً على تلك الأخوات ، بل

الكثير من الآباء والأمهات يعتقدن ذلك ، فيعترضون حجاب بناهم من أجل هذه الغاية .

وهذه الشبهة مردود عليها من جانبين :

الجانب الأول ـــ الجانب النظري المبدئي :

وهو أن الجمال وإن كان من الأسباب الرئيسة في الزواج ، إلا أنه ليس هو السبب الوحيد التي تنكح المرأة من أجله ، وكما بيَّنَ الرسول ﷺ الأسباب المتنوعة التي تنكح المرأة من أجلها فقال: ((**تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**)) [٢٤] .

وهكذا هم الناس لا ينظرون إلى الجمال فقط ، بل هناك أمور تشترك أو تنفرد عن الجمال في اختيار الزوجة . ولكن أولئك الأخوات والآباء والأمهات يفترضون الجمال هو كل شيء ، أو هو الشيء الرئيسي الوحيد وما دونه يمكن التنازل عنه ، وهذا مخالف لطبائع الناس .

الجانب الثاني ـــ الجانب الواقعي :

ولعل التبرج سبب من أسباب عزوف عدد من الشباب من الاقتران ممن تتصف بهذه الصفة ، ظنًّا منهم بأن مثل هذه الفتاة التي فرطت بأمر من أمور الله تعالى وهو ((الحجاب)) لا يستبعد

---

(٢٤) البخاري : ٩/١١٥ في النكاح .

بأن تفرط بغيره ، ذلك أن الشيطان له خطوات ، وإن كان الواقع في بعض الأحيان لا يوافق هذا الرأي ، ولكن هذا هو حال معظم شبابنا اليوم ، والذي يصر على الزواج ممن هي ملتزمة بالحجاب ، حسنة السمعة ، وإن كان هو من غير الملتزمين .

❁ **الشبهة السادسة ــ « صغر السن »** :

وهذه الشبهة أكثر من يرددها ولاة الأمر من الآباء والأمهات ، وبعض الأخوات غير المحجبات ، وهذه الشريحة غالباً ما يكون في نيتها الحجاب ، ولكنها تؤخره لهذه الشبهة والتي هي أقرب إلى الهوى والشهوة ، منها إلى الشبهة .

ويكون الرد غالباً « **حرام* حرمانها من التمتع بالحياة ، فهي لا زالت صغيرة ، فالثياب الجميلة تستهويها ، والتجمل بأنواع التسريحات تغويها ، وإظهار محاسنها يحقق لها الكثير من السعادة والنشوة ، مما يجعلها أكثر سعادة ، وتمتعاً بالحياة ، فلماذا نقف في وجهها ، ونمنعها السعادة مبكراً ، وإذا فاتنا نحن القطار ، فلماذا نجعله يفوتها أيضاً بهذه السرعة** » .

و « صغر السن » عندهم يمتد حتى العشرين سنة ، أما التي تحيض وهي في سن الثالثة عشر ، ففي تصورهم أنها طفلة .

---

* حرام بالمعنى العرفي وليس الشرعي .

❁ كلمة لأولياء الأمور :

إن أولئك الآباء والأمهات الذين يمنعون تحجب بناتهم بحجة صغر السن عليهم مسؤولية عظيمة أمام الله يوم القيامة .

فالفتاة عندما تبلغ الحيض يجب عليها الحجاب شرعاً وولي الأمر عندما يمنعها عليه إثم عظيم ، والله سائله يوم القيامة عن ذلك **﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾** [(٢٥)] ويقول النبي ﷺ : ((**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**)) [(٢٦)] فالأب هو الراعي الأول في البيت وهو مسؤول يوم القيامة عن كل فرد في رعيته .

وليسأل الأب نفسه ، كم ستفتن ابنته من الشباب ؟ وكم ستسبب من انحراف لهؤلاء الشباب ؟ وكم ستتعرض للإساءة من قبل هؤلاء الشباب ؟؟

❁ كلمة حب لأختنا الصغيرة :

يشهد الله تعالى كم نخاف عليك من عقوبة الله تعالى ، وكم نحن حريصون أشد الحرص على تخليصك من كل خطورة تتعرضين لها في الدنيا والآخرة ، فهذا هو واجب المسلم نحو أخيه المسلم .

---

(٢٥) الصافات : ٢٤ .

(٢٦) البخاري : ١٣/١٠٠ في الأحكام ــ وله تكملة .

ومن هذه الخطورات التي تحدث للأخت غير المحجبة في الدنيا والآخرة ما ذكره النبي ﷺ فيما أخرجه الحاكم ((**سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال يترلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات**)) [٢٧] .

أختي الحبيبة غير المحجبة أتعرفين ما معنى ((اللعنة)) ؟؟ اللعنة هي الطرد من رحمة الله تعالى ، وفي الحديث الآنف الذكر يأمر النبي ﷺ كل مسلم أن يلعن هذا الصنف من النساء اللواتي يلبسن شيئاً على أجسادهن ولكنه لا يغطي عوراتهن ، فكأنهن عاريات ، وحديث آخر يقول فيه النبي ﷺ : ((**صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**)) [٢٨] .

وفي هذا الحديث وصف دقيق لهذا الصنف من النساء فهي :
أ ــ كاسية ببعض الملابس ولكنها شبه عارية لكشف أكثر جسدها ، وما يثير الشهوات عند الرجال من الأفخاذ والأرداف والصدر ، وما شف عما غطته بالثياب ، وما برز وقسم جسدها

---

(٢٧) رواه أحمد : ٢/٢٢٣ ــ قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح (مجمع الزوائد) .
(٢٨) مسلم : ٢١٢٨ .

من الملبس الضيق ، فكأنها عارية وإن كانت كاسية ..

ب ــ تتمايل في مشيتها ، مميلة بذلك ومحركة للشهوات .

جـ ــ قد ارتفع رأسها بما تصنع فيه من فنون النفش ، والقصات الحديثة ، وما تضع من الباروكات وكأنها سنام البعير لارتفاعه .

كما أن في الحديث بيان لحقيقة أن هذا الصنف محروم من دخول الجنة ، بل وحتى من ريح الجنة ، ومع أن رحمة الله تعالى وسعت السموات والأرض ، إلا أن رسول الله ﷺ يأمر المسلمين، بأن يدعى على هذه الشريحة بالطرد من رحمة الله تعالى ((**العنوهن فإنهن ملعونات**)) .

وإننا لا نود لك إلا الخير ، والخوف عليك يجعلنا ، نتمنى من أعماق قلوبنا أن يجنبك كل مكروه ، وأن يمل قلبك بنوره الذي لا يخبو ، وأن تنتصري على شياطين الإنس والجن ، وتقرري كسر القيود ، والتحرر من أسر الهوى والشهوات ، وتلجين عالم الحرية والعزة والكرامة والراحة النفسية ، وعالم الطهارة والعفة والعفاف.

۞ هل تضمنين عمرك ؟؟

أختي غير المحجبة عندما امتنعت من الحجاب بحجة صغر السن، فهل تضمنين عمرك للحظات ؟؟ هل تعلمين أو أخبرك أحد بموعد موتك ؟؟

وإذا كان الجواب بالنفي ، فربما جاءك الموت بعد سنة أو شهر أو أسبوع أو يوم أو ساعة أو دقيقة ، كل ذلك محتمل ، ما دمنا لا نعلم آجالنا ..

أختي العزيزة الموت لا يطرق أبواب المرضى فحسب ، ولا كبار السن ، بل يأتي للأصحاء وللكهول والشباب ، وحتى الرضع والأمثلة من واقعنا كثيرة .

❁❁ قصص من الواقع :

❁القصة الأولى : الإصابة المفاجئة

عضو مجلس أمة بكامل صحته ، وحيويته ، ونشاطه وفي ريعان شبابه ، يصاب فجأة بفيروس في مخه ، فيتحول في لحظات إلى كتلة لحمية لا يعرف من أمر نفسه شيئاً .

❁ القصة الثانية : الموت لا يعرف صحيحاً ولا سقيماً

ضابط كبير في الجيش ((لا يشكو من أي مرض ، ممتلئ الجسم)) ذو عضلات مفتولة ، ونشاط في منطقته ، ينام ذات ليلة، وفي الصباح توقظه والدته فإذا به متيبس لا يرد عليها ، فقد وافته المنية وهو نائم .

❁ القصة الثالثة : واحترق صاحبي

قال أبو عبد الله : ((لا أعرف كيف أروي لك هذه القصة التي عشتها منذ فترة والتي غيَّرت مجرى حياتي كلها ، والحقيقة أنني لم أقرر أن أكشف عنها .. إلا من خلال إحساسي بالمسؤولية تجاه الله عز وجل .. ولتحذير بعض الشباب الذي يعصي ربه .. وبعض الفتيات اللاتي يسعين وراء وهم زائف .. اسمه الحب !

كنا ثلاثة من الأصدقاء .. يجمع بيننا الطيش والعبث ! كلا .. بل أربعة .. فقد كان الشيطان رابعنا ..

فكنا نذهب لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول ونستدرجهن إلى المزارع البعيدة .. وهناك يُفاجأن بأننا قد تحولنا

إلى ذئاب لا نرحم توسلاتهن بعد أن ماتت قلوبنا ومـــات فينـا الإحساس !

هكذا كانت أيامنا ولياليتا في المـــزارع ، في المخيمـات .. والسيارات على الشاطئ ! إلى أن جاء اليوم الذي لا أنساه ! ذهبنا كالمعتاد للمزرعة .. كان كل شيء جاهزاً .. الفريسة لكل واحـد منا ، الشراب الملعون .. شيء واحد نسيناه هو الطعام .. وبعـــد قليل ذهب أحدنا لشراء طعام العشاء بسـيارته كـانت السـاعة السادسة تقريباً عندما انطلق ومرت الساعات دون أن يعود .. وفي العاشرة شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتي أبحث عنـــه .. وفي الطريق شاهدت بعض ألسنة النار تندلع على جـانبي الطريــق .. وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي والنار تلتهمها وهـــي مقلوبة على أحد جانبيها .. كالمجنون أحاول إخراجه من السـيارة المشتعلة .. وذهلت عندما وجدت نصف جسده وقد تفحم تمامـاً لكنه كان ما يزال على قيد الحياة فنقلته إلى الأرض .. وبعد دقيقـة فتح عينيه وأخذ يهذي .. النار .. النار .

فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى لكنه قـال لي بصوت باكٍ : لا فائدة .. لن أصل ..

فخنقتني الدموع وأنا أرى صديقي يموت أمامي .. وفوجئـت به يصرخ : ماذا أقول له : ماذا أقول له ؟ نظرت إليـــه بدهشـة وسألته: من هو ؟ قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق : الله .

أحسست بالرعب يجتاح جسدي ومشاعري وفجأة أطلـــق صديقي صرخة مدوية .. ولفظ آخر أنفاسه .. ومضت الأيام لكن

صورة صديقي الراحل وهو يصرخ والنار تلتهمه . ماذا أقول له .. ماذا أقول له ؟

ووجدت نفسي أتساءل : وأنا .. ماذا سأقول له ؟ فاضت عيناي واعترتني رعشة غريبة .. وفي نفس اللحظة سمعت المؤذن لصلاة الفجر ينادي : الله أكبر الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمداً رسول الله .. حي على الصلاة .. أحسست أنه نداء خاص بي يدعوني لأسدل الستار على فترة مظلمة من حياتي .. يدعوني إلى طريق النور والهداية .. فاغتسلت وتوضأت وطهرت جسدي من الرذيلة التي غرقت فيها لسنوات .. وأديت الصلاة .. ومن يومها لم يفتني فرض !

وأحمد الله الذي لا يُحمد سواه .. لقد أصبحت إنساناً آخر وسبحان مُغير الأحوال .. وبإذن الله تعالى أستعد للذهاب لأداء العمرة ..وإن شاء الله الحج فمن يدري .. الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى .. » [٢٩] .

* **القصة الرابعة : خاتمتان متناقضتان**

عشت مرحلتي الدراسية الأولى مع والدي ..

في بيئة صالحة اسمع دعاء أمي وأنا عائد من سهري آخر الليل. أسمع صوت أبي في صلاته الطويلة .. طالما كنت أقف متعجباً من طولها .. خاصة عندما يحلو النوم أيام الشتاء البارد ..

---

(٢٩) للشباب فقط : ص ٧ ــ ١٠ .

أتعجب في نفسي وأقول .. ما أصبره .. كل يوم هكـــذا .. شيء عجيب .

لم أكن أعرف أن هذه هي راحة المؤمن وأن هذه هي صـــلاة الأخيار .. يهبُّون من فرشهم لمناجاة الله ..

بعد المرحلة التي قطعتها في دراستي العسكرية .. ها قد كـبرت وكبر معي بعدي عن الله ..

على الرغم من النصائح التي أسمعها وتَطرقُ مسامعي بين الحين والآخر ..

عُينت بعد تخرجي في مدينة غير مدينتي وتبعد عنـــها مســافة بعيدة .. ولكن معرفتي الأولى بزملائي في العمل خففت ألم الغربــة على نفسي ..

انقطع عن مسامعي صوت القرآن .. انقطع صوت أمي الــتي توقظني للصلاة وتحثني عليها .. أصبحت أعيش وحيداً .. بعيداً عن الجو الأسري الذي عشته من قبل ..

تم توجيهي للعمل في مراقبة الطرق السريعة .. وأطراف المدينة للمحافظة علي الأمن ومراقبة الطرق ومساعدة المحتاجين .. كـــان عملي متجدداً وعشت مرتاحاً .. أؤدي عملي بجد وإخــــلاص .. ولكني عشت مرحلة متلاطمة الأمواج ..

تتقاذفني الحيرة في كل اتجاه .. لكثرة فراغي .. وقلة معارفي .

وبدأت أشعر بالملل .. لم أجد من يعينني على ديــــني .. بـــل العكس هو الصحيح ..

من المشاهد المتكررة في حياتي العملية الحوادث والمصابين .. ولكن كان يوماً مميزاً ..

في أثناء عملنا توقفت أنا وزميلي على جانب الطريق .. نتجاذب أطراف الحديث .

فجأة سمعنا صوت ارتطام قوي ..

أدرنا أبصارنا .. فإذا بها سيارة مرتطمة بسيارة أخرى كانت قادمة من الاتجاه المقابل .. هببنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين ..

حادث لا يكاد يوصف .. شخصان في السيارة في حالة خطيرة .. أخرجناهما من السيارة .. ووضعناهما ممدين ..

أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية .. الذي وجدناه فارق الحياة .. عدنا للشخصين فإذا هما في حال الاحتضار ..

هب زميلي يلقنهما الشهادة ..

قولوا لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله ..

لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء .. أرهبني الموقف .. وكان زميلي على عكسي يعرف أحوال الموت .. أخذ يعيد عليهما الشهادة ..

وقفت منصتاً .. لم أحرك ساكناً شاخص العينين أنظر .. لم أر في حياتي موقفاً كهذا .. بل لم أر الموت من قبل وبهذه الصورة .. أخذ زميلي يردد عليهما كلمة الشهادة .. وهما مستمران في الغناء ..

لا فائدة ..

بدأ صوت الغناء يخفت .. شيئاً فشيئاً .. سكت الأول وتبعه الثاني .. لا حراك ..
فارقا الدنيا .

حملناهما إلى السيارة .. وزميلي مطرق لا ينبس ببنت شفه .. سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق ..

قطع هذا الصمت صوت زميلي فذكر لي حال الموت وسوء الخاتمة .. وإن الإنسان يختم له إما بخير أو شر .. وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان في الدنيا غالباً .. وذكر لي القصص الكثيرة التي رويت في الكتب الإسلامية .. وكيف يختم للمرء على ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه ..

قطعنا الطريق إلى المستشفي في الحديث عن الموت والأموات وتكتمل الصورة عندما أتذكر أننا نحمل أمواتاً بجوارنا ..

خفت من الموت واتعظت من الحادثة .. وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة ..
ولكن نسيت هذا الموقف بالتدريج ..

بدأت أعود إلى ما كنت عليه .. وكأني لم أشاهد الرجلين وما كان منهما .. ولكن للحقيقة أصبحت لا أحب الأغاني .. ولا أتلهف عليها كسابق عهدي .. ولعل ذلك مرتبط بسماعي لغناء الرجلين حال احتضارهما ..

من عجائب الأيام ..

بعد مدة تزيد على ستة أشهر .. حصل حادث عجيب .. شخص يسير بسيارته سيراً عادياً .. وتعطلت سيارته .. في أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة ..

ترجل من سيارته .. لإصلاح العطل في أحد العجلات .. عندما توقف خلف سيارته .. لكي ينزل العجلة السليمة ..

جاءت سيارة مسرعة .. وارتطمت به من الخلف .. سقط مصاباً إصابات بالغة ..

حضرت أنا وزميل آخر غير الأول .. وحملناه معنا في السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله ..

شاب في مقتبل العمر .. متدين يبدو ذلك من مظهره ..

عندما حملناه سمعناه يهمهم .. ولعجلتنا في سرعة حمله لم نميز ما يقول .

ولكن عندما وضعناه في السيارة وسرنا ..

سمعنا صوتاً مميزاً ..

إنه يقرأ القرآن .. وبصوت ندي .. سبحان الله لا تقول هذا مصاب ..

الدم قد غطى ثيابه .. وتكسرت عظامه .. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت ..

استمر يقرأ بصوت جميل .. يرتل القرآن ..

لم أسمع في حياتي مثل تلك القراءة .. كنت أحدث نفسي وأقول سألقنه الشهادة مثل ما فعل زميلي الأول .. خاصة وأن لي سابق خبرة كما أدعي ..

أنصتُ أنا وزميلي لسماع ذلك الصوت الرخيم ..

أحسست أن رعشة سرت في جسدي .. وبين أضلعي ..

فجأة .. سكت ذلك الصوت .. التفت إلى الخلف .. فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد ..

ثم انحنى رأسه ..

قفزت إلى الخلف ..

لمست يده ..

قلبه ..

أنفاسه ..

لا شيء ..

فارق الحياة ..

نظرت إليه طويلاً .. سقطت دمعة من عيني .. أخفيتها من زميلي .. التفت إليه وأخبرته أن الرجل قد مات .. انطلق زميلي في البكاء أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعي لا تقف .. أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثراً ..

وصلنا المستشفى ..

أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل .. الكثير تـأثروا مـن حادثة موته وذرفت دموعهم .. أحدهم بعدما سمع قصة الرجـل ذهب وقبل جبينه ..

الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه .

اتصل أحد الموظفين في المستشفى بمـنزل المتـوفى .. كـان المتحدث أخوه .. قال عنه .. أنه يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية .. كان يتفقد الأرامل والأيتام .. والمسـاكين .. كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية .. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسـكر لتوزيعـها علـى المحتاجين .. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها .. وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق .. إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعتـه .. وسمـاع الأشـرطة والمحاضـرات الدينية .. وإنني أحتسب إلى الله كل خطـوة أخطوها .. من الغد .. غص المسجد بالمصلين .. صليـت عليـه جموع مع جموع المسلمين الكثيرة .. وبعد أن انتهينا من الصـلاة حملناه إلى المقبرة .. أدخلناه في تلك الحفرة الضيقة ..

وجهوا وجهه للقبلة ..

بسم الله على ملة رسول الله ..

بدأنا نهيل عليه التراب ..

اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يسأل ..

استقبل أول أيام الآخرة .. وكأنني استقبلت أول أيام الدنيا .. تبت مما عملت عسى الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتني على طاعته وأن يختم لي بخير .. وأن يجعل قبري وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة [٣٠] ..

---

(٣٠) الزمن القادم : ص ٣٦ ــ ٤٢ .

❁القصة الخامسة : السفر البعيد

بدت أختي شاحبة نحيلة الجسم .. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم ..

تبحث عنها تجدها في مصلاها .. راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء .. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل ..

كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي .. أشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنني عُرفتُ به .. ومن أكثر من شيء عُرِفَ به .. لا أؤدّي واجباتي كاملة ولست منضبطة في صلواتي ..

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلاماً متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة .. ها هو الأذان يرتفع من المسجد المجاور ..

عدت إلى فراشي ..

تناديني من مصلاها .. نعم ماذا تريدين يانورة ؟ قالت لي بنبرة حادة : لا تنامي قبل أن تُصلي الفجر ..

أوه .. بقى ساعة على صلاة الفجر وما سمعتيه كان الأذان الأول ..

بنبرتها الحنونة ــ هكذا هي حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش .. نادتني .. تعالي يا هناء بجانبي ..

لا أستطيع إطلاقاً رد طلبها .. تشعر بصفائها وصدقها ..

لا شك طائعاً ستلبي ..

ماذا تريدين ..

اجلسي ..

ها قد جلست ماذا لديك ..

بصوت عذب رخيم : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُم يَومَ القِيَامَةِ ﴾ (٣١) .

سكتت برهة .. ثم سألتني ..

ألم تؤمني بالموت ؟

بلى مؤمنة ..

أمل تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة ..

بلى .. ولكن الله غفور رحيم .. والعمر طويل ..

يا أختي .. ألا تخافين من الموت وبغتته ..

انظري هند أصغر منك وتوفيت في حادث سيارة ..

وفلانة .. وفلانة ..

الموت لا يعرف العمر .. وليس مقياساً له ..

---

(٣١) آل عمران : ١٨٥ .

أجبتها بصوت الخائف حيث مصلاها المُظلم .

إنني أخاف من الظلام وأخفتيني من الموت .. كيف أنام الآن .. كنت أظن أنك وافقت للسفر معنا هذه الإجازة ..

فجأة .. تحشرج صوتها واهتز قلبي ..

لعل هذه السنة أسافر سفراً بعيداً .. إلى مكان آخر .. ربما يا هناء .. الأعمار بيد الله .. وانفجرت بالبكاء ..

تفكرت في مرضها الخبيث وأن الأطباء أخبروا أبي سراً أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً .. ولكن من أخبرها بذلك .. أم أنها تتوقع هذا الشيء ..

ما لك تفكرين ؟ جاءني صوتها القوي هذه المرة ..؟

هل تعتقدين أني أقول هذا لأنني مريضة ؟

كلا .. ربما أكون أطول عمراً من الأصحاء ..

وأنت إلى متى ستعيشين .. ربما عشرون سنة .. ربما أربعون .. ثم ماذا .. لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة ..

لا فرق بيننا كلنا سنرحل وسنغادر إما إلى جنة أو إلى نار .. ألم تسمعي قول الله **﴿ فَمَن زُحزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾** [٣٢] .

---

(٣٢) آل عمران : ١٨٥ .

تصبحين على خير ..

هرولت مسرعة وصوتها يطرق أذني .. هداك الله ..

لا تنسي الصلاة ..

الثامنة صباحاً ..

أسمعُ طرقاً على الباب .. هذا ليس موعد استيقاظي .. بكاء .. وأصوات .. يا إلهي ماذا جرى ..

لقد تردت حالة نورة .. وذهب بها أبي إلى المستشفى .. إنا لله وإنا إليه راجعون ..

لا سفر هذه السنة .. مكتوب عليّ البقاء هذه السنة في بيتنا .

بعد انتظار طويل ..

عند الساعة الواحدة ظهراً .. هاتفنا أبي من المستشفى .. تستطيعون زيارتها الآن هيا بسرعة ..

أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مطمئن وأن صوته متغير ..

عباءتي في يدي ..

أين السائق .. ركبنا على عجل .. أين الطريق الذي كنت أذهب لأتمشى مع السائق فيه يبدو قصيراً .. ما له اليوم طويل .. وطويل جداً ..

أين ذلك الزحام المحبب إلى نفسي كي ألتفت يمنة ويسرة .. زحام أصبح قاتلاً ومملاً ..

أمي بجواري تدعو لها .. إنها بنت صالحة ومطيعة .. لم أرهـــا تضيع وقتها أبداً ..

دلفنا من الباب الخارجي للمستشفى ..

هذا مريض يتأوه .. وهذا مصاب بحادث سيارة .. وثالث عيناه غائرتان .. لا تدرى هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ..

منظر عجيب لم أره من قبل ..

صعدنا درجات السلم بسرعة ..

إنها في غرفة العناية المركزة .. وسآخذكم إليها .. ثم واصلـــت الممرضة إنها بنت طيبة وطمأنت أمي أنها في تحسن بعد الغيبوبة التي حصلت لها ..

ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد ..

هذه هي غرفة العناية المركزة ..

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفـــة أرى عيني أختي نورة تنظر إلى وأمي واقفة بجوارها .. بعد دقيقتـين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دموعها ..

سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معـــها كثيراً .. دقيقتين كافية لك ..

كيف حالك يا نورة ..

لقد كنت بخير مساء البارحة .. ماذا جرى لك ..

أجابتني بعد أن ضغطت على يدي : وأنا الآن ولله الحمد بخير الحمد لله ولكن يدك باردة ..

كنت جالسة على حافة السرير ولامست ساقها .. أبعدته عني آسفة إذا ضايقتك .. كلا ولكني تفكرت في قول الله تعالى : ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴾ [٣٣] عليك يا هناء بالدعاء لي فربما استقبل عن قريب أول أيام الآخرة.

سفري بعيد وزادي قليل ..

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت .. لم أعِ أين أنا ..

استمرت عيناي في البكاء .. أصبح أبي خائفاً عليّ أكثر من نورة .. لم يتعودوا مني هذا البكاء والانطواء في غرفتي ..

مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين ..

ساد صمت طويل في بيتنا ..

دخلت عليّ ابنة خالتي .. ابنة عمتي ..

أحداث سريعة ..

كثر القادمون .. اختلطت الأصوات .. شيء واحد عرفته ..

نورة ماتت ..

---

(٣٣) القيامة : ٢٩ .

لم أعد أُميز من جاء .. ولا أعرف ماذا قالوا ..

يا الله .. أين أنا وماذا يجري ..عجزت حتى عن البكاء .. فيما بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لوداع أختي الوداع الأخير .. وأني قبلتها .. لم أعد أتذكر إلا شيئاً واحداً .. حين نظرت إليها مسجاة على فراش الموت .. تذكرت قولها ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ (٣٤) عرفت حقيقة أن ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾(٣٥) .

لم أعرف أنني عدت إلى مصلاها إلا تلك الليلة ..

وحينها تذكرت من قاسمتني همومي .. تذكرت من نَفَّست عني كربتي .. من دعت لي بالهداية .. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب .. الله المستعان ..

هذه أول ليلة لها في قبرها .. اللهم ارحمها ونور لها قبرها .. هذا هو مصحفها .. وهذه سجادتها .. وهذا .. وهذا .. بل هذا هو الفستان الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي ..

تذكرت وبكيت على أيامي الضائعة .. بكيت بكاء متواصلاً .. ودعوت الله أن يرحمني ويتوب عليّ ويعفو عني .. دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب أن تدعو ..

---

(٣٤) القيامة : ٢٩ .

(٣٥) القيامة : ٣٠ .

فجأة سألت نفسي ماذا لو كانت الميتة أنا ؟ ما مصيري ..؟

لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذي أصابني بكيت بحرقة ..

الله أكبر .. الله أكبر .. ها هو أذان الفجر قد ارتفع .. ولكن ما أعذبه هذه المرة ..

أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن .. لفلفت ردائي وقمت واقفة أصلي صلاة الفجر .. صليت صلاة مودع .. كما صلتها أختي من قبل وكانت آخر صلاة لها ..

إذا أصبحتُ لا أنتظرُ المساء ..

وإذا أمسيتُ لا أنتظر الصباح [٣٦] ..

❁ الشبهة السابعة ـ موضة وليست حجاباً :

وتردد بعض الأخوات الفاضلات من غير المحجبات شبهة مؤداها أنه لا يوجد حجاب حقيقي ، وإنما هي موضة ، وما دامت موضة، فلماذا ألزم بفعلها ، ثم تذكر لك وقائع كثيرة ، ومشاهدات منحرفة لبعض المحجبات اللاتي تعرفهن .

ولابد أن نستعرض أنواع المحجبات قبل الرد على هذه الشبهة وهن ستة أنواع :

١) تتحجب من أجل ستر بعض العيوب الجسمانية .

---

(٣٦) الزمن القادم ص : ٦ـ١٢ .

٢) تتحجب من أجل الزواج ، لأن غالب الشباب سواءً المتدين وغيره يفضل المحجبة ، كما بينا من قبل .

٣) تتحجب من أجل التستر على بعض الأعمال التي نهى الله عنها، وهي بالحجاب تكسب ثقة أهلها بها ، فلا تصبح موضع شبهة ، وبالتالي تستطيع أن تخرج متى شاءت وإلى أي مكان دون أن يعترضها أحد .

٤) تتحجب من أجل مسايرة الموضة ، وهو ما يطلق عليه ((الحجاب الفرنسي)) حيث أظهرت شيئاً من خصلات شعرها، وبدى نحرها ، وارتدت فستاناً قد يصل إلى نصف ساقها ، وأظهر معالم جسدها ، وقد يكون رقيقاً يشف عن الكثير ، وأحياناً يحل البنطلون محل الفستان ، ولتكملة ((الموضة)) يطلين الوجه بأنواع المساحيق وتسكب كمية لا بأس بها من العطر ، حتى ليتعطر الطريق برائحتها .

هذه الفتاة قد رفضت ما شرعه المولى عز وجل من الحجاب الشرعي ، واعتقدت بأفضلية ما شرعه العباد أمثال ((كرست أنديور)) و ((سان لوران)) و ((شانال)) و ((كارتير)) وغيرهم ممن غضب الله عليهم من الكفرة .

٥) تكون مجبرة عليه من والديها المتدينين ، أو عائلتها المحافظة ، فتلبسه مكرهة ، غير راغبة به ، ولكنها تخاف نزعه مما سيلحق بها من أذى من أهلها : لذلك فهذا الصنف من النساء ، ما أن

ترى فسحة لا يراها فيها الرقيب حتى تنزع كل شيء ، لأنها غير مقتنعة بالحجاب .

٦) الحجاب الشرعي الصحيح .

وهي التي تلبس الحجاب الشرعي ، مؤمنة بوجوبه ، خائفة من نزعه ، تريد بذلك وجه الله لا وجه المخلوق ، وتكون ملتزمة بالمواصفات الشرعية للحجاب وهي :

١) أن يكون فضفاضاً لا يقسم جزءاً من الجسد .

٢) سميكاً لا يشف شيئاً من جسدها .

٣) خالياً من العطور والبخور والماكياج .

٤) لا يشابه لباس الكافرات ، من أجل مخالفتهن .

٥) ألا يوجد فيه لون صارخ ملفت للأنظار ، أو يكون زينة في نفسه .

٦) أن يكون مستوعباً لجميع الجسد ، ما عدا الوجه والكفين في قول ، وكل الجسد في قول آخر .

٧) ألا يشبه لباس الرجال ، لورود النهي عن التشبه بالرجال .

٨) ألا يكون لباس شهرة ، لئلا تغتر به فيحصل التفاخر المنهي عنه [٣٧] .

---

(٣٧) يراجع كتاب حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة للألباني ، وكتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله للبوطي .

فإذا كانت هذه الأنواع جميعها ما عدا النوع السادس ، لم تبتغي وجه الله في حجابها ، فلا يعني أنه لا يوجد من يريد وجه الله في الحجاب ، فكوني من ذلك الصنف الذي التزم لوجه الله تعالى ، وطلباً لرضاه ، وخوفاً من سخطه .

❁ الشبهة الثامنة ــ الحرمان من الزينة :

وهذه أيضاً ليست بشبهة ، إنما هي من صنف الشهوة أو الهوى المانع من الالتزام بالحجاب .

والسؤال الذي يفرض نفسه أمام هذه الشهوة ، لمن تتبرجين ؟؟ ولمن تتزينين ؟؟ .

وإذا كان الجواب ، بأني أتبرج وأتزين حتى يرى الجميع جمالي وقوامي .

فهل تقبلين أن يرى هذا الجمال الداني والقاصي ؟؟

وهل تقبلين أن تكوني سلعة رخيصة يعاينها الجميع ، الخسيس والكريم ؟؟

كيف تسلمين جسدك لعيون الذئاب البشرية ؟؟

أتقبلين أن تكوني رخيصة إلى هذه الدرجة ؟؟!

❁ قصة واقعية :

زارت إحدى الراقصات من الفنانات المشهورات دولة من دول الخليج ، للمساهمة في إحياء بعض الليالي في بعض المناسبات ، فقررت إحدى الصالحات أن تحدثها بالهاتف تأمرها بالمعروف

وتنهاها عن المنكر ، فبحثت عن رقم الهاتف في الفندق التي تقطن فيه تلك الفنانة ، حتى عثرت عليه .

اتصلت بها وعلى الهاتف جرت هذه المحاورة ((بما معناها)) :

الأخت ــ أهلاً وسهلاً في بلادنا ، ونحن فرحين إذ نراك على أرضنا ، وأرجو منك السماح لي بسؤال .

الفنانة ــ تفضلي بكل سرور .

الأخت ــ إذا كان لديك شيء ثمين أين تضعيه ؟

الفنانة ــ في مكان خاص ، وأغلق عليه حتى لا يأخذه أحد .

الأخت ــ وإذا كان هذا الشيء ثمين جداً ، فأين تخبئينه ؟

الفنانة ــ في مكان خاص ، وأغلق عليه حتى لا تصل إليه يد .

الأخت ــ ما هو أغلى ما تملك المرأة ؟؟

الفنانة ــ مترددة بالإجابة .

الأخت ــ أليست عفتها هي أغلى ما تملك ؟؟

الفنانة ــ نعم .. نعم ، أثمن ما تملك المرأة عفتها .

الأخت ــ فهل هذا الشيء الثمين يجوز أن يعرض للجميع .

هنا انتبهت الفنانة لمغزى الحوار ، وقالت بإعجاب شديد ، وكأن صارخاً في فطرتها ، صرخ صرخة عالية هزت كيانها ، وأيقظتها من سباتها .

الفنانة ـــ هذه أول مرة في حياتي أسمع مثل هذا الكلام ، ولا بد أن أراك حالاً ، ولا بـد أن أستمـع إلى المزيـد مـن هـذا الكـلام . (انتهى) .

أختي العزيزة الغالية ـــ وإذا كنت تتبرجين وتتزينين من أجـل الزوج ، أو الصديقات ، فليس في الدين حرج من ذلـك ، إذا لم يكن هذا التبرج خارج إطار مترل الزوجية ، وأمـام الصديقـات يجوز التبرج إذا كانت الجلسة محفوفة بالنساء ، علـى ألا تظـهر العورات التي لا يجوز أن تراها المرأة من المرأة ، والتي هي من السرة إلى الركبة .

❁ مثال من الواقع :

أختي الغالية : هل يمر في ذاكرتك كيف يقلب المشتري السـلعة التي يريد شراءها ، وبعد أن تعجبه يطلب من البائع أن يعطيه سلعة أخرى من نفس النوع المصفوف على الرف ، والـذي لم تمسـه الأيدي ؟؟

تدبري هذا المثل جيداً وستدركين كم ستكونين غاليـة ثمينـة عندما تخفين ما أمرك الله بإخفائه .

❁ الشبهة التاسعة ـ الحجاب يعطل نصف المجتمع :

هذه الشبهة لا ترددها النساء ، بل يرددها العلمانيون ومن دأب دأبهم ، فهم يقولون بأن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع ، إذ أن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها .

ولهذه الشبهة التي نسمعها بين الفينة والأخرى ردود كثيرة منها :

١) أن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها ، إذ يقول تعالى :
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[٣٨].
ولا يعني هذا الأمر إهانة للمرأة وتعطيلاً لطاقتها ، بل هو التوظيف الأمثل لطاقتها .

٢) الإسلام ينظر إلى تربية الأبناء وإعطاؤهم القيم والآداب والرعاية من أهم واجبات المرأة ، والإحصائيات العالمية والمحلية كلها تفيد بأن حالات الانحراف بين الشباب السبب الرئيس فيها هو التفكك الأسري ، وعدم الرعاية الكافية للأبناء .

٣) الإسلام لم يجعل الإنفاق من واجبات المرأة ، بل جعله من واجبات الرجل ، لذلك كان من الطبيعي أن الذي يخرج للعمل هو الرجل ، لتتفرغ المرأة لما هو أهم بكثير من العمل الخارجي.

---

(٣٨) الأحزاب : ٣٣ .

ولأكبر وظيفة في المجتمع وهي تربية الأجيال الذين على كواهلهم تبنى المجتمعات وتزدهر .

٤) الإسلام يحرص أشد الحرص على حماية المجتمع من الانهيار ، واختلاط الرجال بالنساء ، بسبب بعض المشاكل التي تضعف المجتمع ، وتعرض المرأة للأذى من بعض ضعاف النفوس ، وتشغل نفوس الأيامى من الطرفين بما لا يعود على المجتمع بأي خير . خاصة إذا تفشى التبرج والزينة بين النساء .

٥) الإسلام لا يمنع عمل المرأة ، بل يجعله واجباً إذا كانت في التخصصات التي يحتاجها المجتمع ، لكي يرفع الحرج ، ويمنع الاضطرار لكشف المرأة عورتها للرجال الأجانب ، مثل أن تعمل كطبيبة للنساء ، ومدرسة ، ومصورة للأشعة للنساء ، ومولدة وغيرها مما يخص النساء .

٦) وفي حالة الاضطرار فإن الإسلام لا يمنع المرأة من العمل ، ما دامت تتمسك بالآداب الشرعية كإذن وليها أو عدم الاختلاط بالرجال والخلوة بهم ، وألا يكون عملها فيه معصية، وأن يكون عملها عملاً مشروعاً ، وألا يخرج عملها على العرف ولا على طبيعة المرأة ، وألا تكون الوظيفة معطلة لعمل الأم في بيتها ، وما شابهها من شروط [٣٩] .

---

(٣٩) يراجع كتاب ((رسائل إلى المرأة المسلمة)) لخالد الحمادي ص ١٠٥ـ١٢٤ .

❁ **الشبهة العاشرة ــ الحجاب مظهر غير حضاري :**

يقولون أن شكل الحجاب الخارجي مظهر من مظاهر التخلف في المجتمعات ، وهو مظهر غير حضاري ، فما معنى لهذه الخيام السوداء المتحركة ، وهذه الغربان وهو عودة إلى البدائية في المجتمعات الإنسانية .

❁ **مصطلحات خاطئة :**

وهذه شبهة ساقطة في ذاتها ، حيث أن التقدم لا يقاس بالمظاهر الخارجية ، مثل اللباس والبناء والدواب ، والزخارف وغيرها من الأمور الظاهرية . والذي يقيس تقدم المجتمعات بهذه المظاهر الخارجية ، فإنه فاقد للموضوعية والمنطق .

والحضارة كلمة تطلق على مجموع الأخلاق والسلوك والقيم لأمة من الأمم ، أما المظاهر الخارجية فلا علاقة لها بالحضارة ، بل هي من ((المدنية)) .

❁ **أمثلة من الواقع :**

ومثالاً على ذلك ، عند الذهاب إلى أمريكا ، فإن المرء يلمس ويشاهد تقديس الحرية من قبل الجميع الحاكم المحكوم . حتى بنوا تمثالاً في وسط أكبر المدن الأمريكية يمثل ((الحرية)) . فيستطيع أي مواطن في أمريكا انتقاد من يشاء ، من رئيس الولايات المتحدة حتى أصغر موظف ، دون أن يؤاخذ أو يعاقب ، أو يلام من قبل أحد ، والحرية قيمة من القيم .

ولذلك فإن أمريكا أصبحت قائدة العالم ليست بتكنولوجيتها فحسب ، بل بما تملك من قيم إنسانية تحافظ عليها الحكومة قبل الشعب ، بل إن الحكومات المتعاقبة يتعلق نجاحها أو سقوطها بمقدار الاحترام لهذه القيم ، وتطبيقها لها . ومثال آخر في أي دولة أوربية ، عندما تذهب إلى أي محطة للحافلات ، فإنك تجد جدولاً معلقاً فيه مواعيد وصول الحافلات طوال الأسبوع بالساعة والدقيقة . فمثلاً يكتبون موعد أول حافلة يوم الاثنين هو الساعة ٦,٤٥ صباحاً . فيذهب المواطن هناك فيجد الحافلة تأتي بالدقيقة تماماً دون تأخير دقيقة واحدة ، ولو أنه تأخر دقائق قليلة لرأيت الشكاوى من كل مكان عليه ، وربما فصل من عمله ، وربما أحدث ذلك ضجة إعلامية كبيرة في المجتمع . « فاحترام المواعيد » قيمة من القيم ، وبالتالي مقياس تقدم أوربا وحضارتها ليس بما تملك من تكنولوجيا فحسب بل بما تملك من قيم ومبادئ تحافظ عليها .

وبالمقارنة فإن مجتمعاتنا تعد مجتمعات متخلفة ، لا بسبب عدم امتلاكنا للتكنولوجيا فقط ، إنما بسبب تخلينا عن القيم والمبادئ ، والتي مصدرها ديننا العظيم ، لذلك فإن مجتمعاتنا تعد من أكثر المجتمعات انتشاراً للظلم ، وامتهاناً للحقوق الأساسية للإنسان ، ومن أكثر المجتمعات تخلفاً بالأخذ بالنظام ، والأخذ بالشورى ، والاستماع للرأي الآخر ، وغيرها من القيم . وعلى هذا فإن الالتزام بالحجاب الإسلامي يعد خطوة إلى الأمام على طريق بناء الحضارة ، لأنه خلق وسلوك وقيمة نابعة من ديننا الحنيف ، وليس كما يزعمون ، صورة ومظهر غير حضاري .

❁ **الشبهة الحادية عشر : والداي وزوجي يمنعاني :**

الأصل في هذه القضية أن طاعة الله تعالى مقدمة على طاعة كل مخلوق كائناً من كان ، وأن الوالدين هما أحق بالطاعة من غيرهما بعد الله تعالى ما لم يأمرا بمعصية .

الأمر الآخر أن معصية ولي الأمر فيما يأمر به الله تعالى ، تعتبر من أكبر القربات لله تعالى ، كما أنها تعتبر دعوة حية لولي الأمر.

الأمر الثالث ، أن ولي الأمر سواءً أكان أباً أو زوجاً ، إذا ما رأى إصرار من هو مسؤول عنه ، فإنه غالباً ما يرضخ للواقع ، ويحترم اختيار من هو مسؤول عنه ، إلا إذا كان لا يوجد في قلبه حقيقة الحب لمن هو مسؤول عنه ، ونستعرض ها هنا بعض فتاوى كبار العلماء عن هذه القضية :

السؤال الأول ــ يجيب عليه فضيلة الشيخ ابن باز .

س : ما حكم من خالفت أمها في عدم طاعتها في حالة إذا كانت الأم تطلب شيئاً فيه معصية الله عز وجل كأن تطلب التبرج والسفور وتدعي بأن الحجاب هذا هو خرافات وليس له واقع في الدين وتطلب مني الخروج إلى حفلات واللبس من الملابس الذي يخرج ويبرز جميع ما حرمه الله في المرأة وتغضب عندما تراني متحجبة ؟

ج : إنه لا طاعة للمخلوق سواء كان أباً أو أماً أو غيرهما في معصية الخالق . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : ((**إنما الطاعة في**

المعروف » وقال ﷺ: « **لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق** » وهذه الأمور التي تدعو إليها أم السائلة من معاصي الله فلا تجوز طاعتها فيها (٤٠) .

السؤال الثاني ــ يجيب عليه فضيلة الشيخ ابن عثيمين .

سؤال :

صدر قرار من السلطات العليا ببلدتي الإسلامية لإجبار الفتيات وجميع النساء على خلع الحجاب وبالأخص غطاء الرأس ، هل يجوز لي تنفيذ ذلك ، علماً بأن من يرفض ذلك ترصد له العقوبات كالرفض من العمل أو المدرسة أو السجن ؟

الفتوى :

هذا البلاء الذي حدث في بلدتك هو من الأمور التي يُمْتَحَنُ بها العبد ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ آلم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُم لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ (٤١) .

فالذي أرى أنه يجب على المسلمات في هذه البلدة أن يأبين طاعة أولي الأمور في هذا الأمر المنكر ، لأن طاعة ولي الأمر في المنكر مرفوضة قال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ**

---

(٤٠) الدعوة السعودية : ٨٧٠ .

(٤١) العنكبوت : ٢،١ .

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم ﴾ (٤٢) .

لو تأملت الآية لوجدت أن الله قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم ﴾(٤٣) ولم يكرر الفعل ثالثة مع أولي الأمر فدل على أن طاعة ولاة الأمور تابع لطاعة الله وطاعة رسوله . فإذا كان أمرهم مخالفاً لطاعة الله ورسوله فإنه لا سمع لهم ولا طاعة فيما أمروا به فيما يخالف طاعة الله ورسوله . ((**ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**)) .

وما يصيب النساء من الأذى في هذه الناحية من الأمور التي يجب الصبر عليها والاستعانة بالله تعالى على الصبر ونسأل الله لولاة أمورهم أن يهديهم إلى الحق .

ولا أظن هذا الإجبار إلا إذا خرجت المرأة من بيتها وأما في بيتها فلن يكون هذا الإجبار وبإمكانها أن تبقى في بيتها حتى تسلم من هذا الأمر . أما الدراسة التي تترتب عليها معصية فإنها لا تجوز، بل عليها دراسة ما تحتاج إليه في دينها ودنياها وهذا يكفي ويمكنها ذلك في البيت غالباً . خلاصة القول أنه لا يجوز طاعة ولاة الأمور في أمر منكر أبداً (٤٤) .

---

(٤٢) ، (٤٣) النساء : ٥٩ .

(٤٤) فتاوى ابن عثيمين جـ ٢/٨٧٠ ، ٨٧١ ط ـ دار عالم الفكر .

السؤال الثالث ـــ يجيب عليه فضيلة الشيخ ابن عثيمين :

سؤال :

رجل متزوج وله أبناء ، زوجته تريد أن ترتدي الزي الشرعي وهو يعارض ذلك فبماذا تنصحونه بارك الله فيكم ؟

الفتوى :

إننا ننصحه أن يتقي الله عز وجل في أهله وأن يحمد الله عز وجل الذي يسر له مثل هذه الزوجة التي تريد أن تُنفِّذ ما أمر الله به من اللباس الشرعي الكفيل بسلامتها من الفتن وإذا كان الله عز وجل قد أمر عباده المؤمنين أن يَقُوا أنفسَهم وأهْليهم النار في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (٤٥) .

وإذا كان النبي ﷺ قد حمل الرجل المسؤولية في أهله فقال : « **الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته** » .

فكيف يليق بهذا الرجل أن يحاول إجبار زوجته على أن تدع الزِّي الشرعي في اللباس إلى زي محرم ، يكون سبباً للفتنة بها ومنها فليتق الله تعالى في نفسه وليتق الله في أهله وليحمد الله على نعمته أن يسَّر له مثل هذه المرأة الصالحة .

---

(٤٥) التحريم : ٦ .

وأما بالنسبة لزوجته فإنه لا يحل لها أن تطيعه في معصية الله أبداً لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٤٦) .

الخلاصة : هذا حكم الشرع كما بينه علماؤنا الأفاضل، ولكن لا بد من اتباع الحكمة في رفض طاعة الولي إذا أمر بالتبرج أو منع من التحجب . والحكمة تقتضي الأمور التالية :

١ــ التأدب بعرض ما تؤمنين به دون علو للصوت أو استخدام بعض الكلمات التي تغضب ولي الأمر .

٢ــ تحمل الأذى من السب والشتيمة والاستهزاء بصدر واسع دون ضجر ، ودون ما يترتب على ذلك سوء بالمعاملة لولي الأمر .

٣ــ أن تطلبي العون بعد الله تعالى من أقاربك ، وقريباتك ممن اخترن طريق الهداية .

٤ــ أن تستعيني بالله أولاً ، وتستمري بالدعاء على الثبات وتفريج الكرب ، وقراءة القرآن والأذكار خاصة عند التعرض للسب والشتيمة والاستهزاء لدفع ما يلقي الشيطان .

٥ــ ألا تعرضي ما تؤمنين به بأسلوب المعلم . والمتعالي ، بل بأسلوب المشفق والتلميذ لمدرسه ، لأن الوالد أو الوالدة لا يحبان أن يريان من ابنتهما ترفعاً وأستاذية .

---

(٤٦) فتاوى ابن عثيمين : ٨٧٣/٢ .

٦ـ رد الإساءة بالحسنة ، وبالبر .

٧ـ اختيار الوقت المناسب لمفاتحتهما .

٨ـ لتعلم هذه الأخت أن الجنة غالية ، والغالي لا يعطى إلا بعد تعب ونصب وجهد وتحمل للمشاق والأذى في سبيل الله .

الخاتمة

عندما غزانا الاستعمار الكافر من كل صوب وحدب ردحاً من الزمان ، وثارت حركات التحرر في كل مكان تحارب هذا الاستعمار ، اقتنع بعد الخسائر الكثيرة التي مني بها ، أن الأسلوب العسكري ما عاد يجدي ، وأنه يثير الحماسة والمقاومة في النفوس ، فيما هو ليس بصالح المستعمر الذي يريد استغلال خيرات البلاد في نهضة بلاده ، ففكر في طريقة أخرى غير الاستعمار العسكري قبل خروجه من بلادنا ، واقتنع أن خير طريقة هي الغزو الثقافي ؛ وذلك بأن يجعل أبناءنا تقتفي آثاره وعاداته وتقاليده وقيمه ، فيكونون بذلك ، خادمين للاستعمار من غير حاجة لوجود عسكري واحد ، وهذا ما تم فعلاً ، وكان من أبرز ما حرصوا عليه في غزوهم هذا ، هو المرأة ، أرادوها أن تكون مثل نسائهم ، تصادق الرجال ، وتحتك بهم ، بل وتنافسهم في كل شيء ، وتكشف عن عورتها ، وتسبح جنباً إلى جنب مع الرجال ، واستخدموا من أجل ذلك عشرات الكتاب والممثلين ، ومئات المسرحيات والأفلام ، والكتب ، والمسلسلات ، والبعثات ، والصحف والمجلات ، والنوادي ، والجمعيات وغيرها من الوسائل التي تصب جميعاً في تحقيق هدفهم الأول ، وهو تعبيد بلادنا لهم من

غير عساكر ، بنشر الفساد والإفساد ، وحـــــــرق القيـــــــم والعـــــادات

المستمدة من ديننا الحنيف ، وما نراه من تبرج وسفور إنما هو نتاج هذا الغزو الذي بدأ منذ سقوط الخلافة حتى زماننا هذا ، وكان لا بد من المصلحين عمل شيء لوقف هذا التريف في قيمنا وعاداتنـا ، وما هذا العمل إلا جهد من هذه الجهود لإيقاف التريف والعـــودة إلى الأصالة وترك الذل والاتباع للكفار .

الفهرس

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة - نوسا البحر
ت: ٤٤١١٩١/ ٠٥٠

